

حسن الظن بالله وبالمسلمين

إخوة الإيمان:

اعلموا عباد الله أنكم من الله واليه راجعون، شاء من شاء وأبى من أبى، فمن كان منكم يرجوا لقاء الله فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، أيها الأخوة: سنقف مع عبادة جليلة من عبادات القلوب، بها يستجلب العبد مصالح الدين والدنيا، وبها يُصلح الإنسان عاجله وآجله؛ إن حسن الظن بالله تعالى من صميم التوحيد، بل حسن الظن بالله من واجبات التوحيد، لأن الله تعالى مدح الذين أحسنوا الظن به، وأثابهم، وذم الذين أساءوا الظن به، فقال الله عنهم: يَطُّونَ بِاللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ [آل عمران] عباد الله: لا بد من التذكير بهذه العبادة الجليلة وبيان أهميتها وثمراتها، والأوقات والأحوال التي تتأكد فيها، مع ذكر بعض المواقف المشرفة في حُسْنِ الظَّنِّ بالله تعالى؛ للاقتداء والتأسي، أيها المسلمون: إن حسن الظن بالله من صفات المؤمنين الصادقين، وهو نور يُنير القلوب وسط ظلمات المحن والابتلاءات، ولقد ضرب لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في حسن الظن بالله، حتى في أشد المواقف وأصعب الظروف، عندما اشتد عليه وعلى صاحبه الكرب في غار ثور أثناء الهجرة، قال لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه وفي غزوة الأحزاب، حينما اجتمع الكفر من كل حذب وصوب لمحاربة المسلمين، كان النبي صلى الله عليه وسلم مُطْمَئِنًّا إياه: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة] يبشر أصحابه بفتح الشام وفارس واليمن، وهو يحفر الخندق تحت حصارِ قفاةٍ في العتاد والطعام، هذا هو حسن الظن بالله الذي نحتاج أن نغرسه في نفوسنا، وإن من أعظم مقامات الإيمان، وأرقى درجات الإحسان، أن يعتقد العبد في ربه ما يليق به سبحانه من الكمال، فيحسن الظنَّ به، ويملاً قلبه بحمده وتعظيمه ومحبته، وخشية عقابه والطمع في فضله، عباد الله: حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ شأنُ المؤمنين العارفين، وسوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ حالُ الكافرين والمنافقين، كما قال تعالى: وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السُّوءِ وَعَغِصَبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، وَمَنْ أَحْسَنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ تَعَالَى كَانَ اللَّهُ لَهُ كَمَا ظَنَ، والعكس بالعكس، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، فمن ظنَّ بالله تعالى أنه يكفيه إذا صدق التوكل عليه كفاه الله ولا بُدَّ، ومن ظنَّ بالله أنه يقبله إذا صدق التوبة إليه قبله الله ولا بُدَّ، ومن ظنَّ بالله أنه يشكر له عمله إذا أحسن عبادته، شكر الله له عمله الحسن ولا بُدَّ، وأما من ظنَّ بالله أنه سبحانه يجذُل من توكل عليه، أو لا يقبل من تاب إليه، أو لا يتقبل عمل من أحسن عبادته، فقد أساء الظنَّ بالله، وكانت عاقبته حينئذٍ أن يُوقِع الله عليه ما ظنَّ به جزاءً وفاقاً، وإنَّ المؤمنَ إذا أحسنَ الظنَّ بالله فأحسنَ العملَ، وإنَّ الفاجرَ أساءَ الظنَّ بالله فأساءَ العملَ، ولذلك فإنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ تعالى بابٌ للخير العظيم، والفضل الجزيل، ويقدر ما يُعطى العبد من حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، يُعطى من رحمة الله وإحسانه، يقول عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه: وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالظَّنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ظَنَّهُ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ، ولذلك كان حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ من خير ما يُحْتَمُّ به للعبد قبل أن يبصر إلى ربه، كما روى مسلمٌ عن جابر رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاثٍ يقول: لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظنَّ، وحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ مَبْنِيٌّ عَلَى أَمْرَيْنِ: عَلَى صِحَّةِ الاعتقاد في الله، وإحسان العمل في طاعته، فأما صِحَّةُ الاعتقادِ، فإنَّ من عَرَفَ الله بأسائه وصفاته، وفضله وإنعامه، ومملكه وتدبيره، وقدرته وعزته، وأنه وسع كل شيءٍ رحمته وعِلْمًا، وأحاط بكل شيءٍ قُدْرَةً ومُلْكًا، وأنه إذا أراد شيئًا قال له كُنْ، فكان حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ تعالى، ومن ظنَّ أنَّ شريعةَ الله أحسنُ الشرائع، وحكمه أحسنُ الأحكام، حَسَنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ تعالى، ومن اعتقد أنَّ الله لا يتعاضمه شيءٌ أعطاه، بل هو الكريمُ الجوادُ، يده مَلَأَى لا يعيُضها نفقة، سخاءُ الليل والنهار، حَسَنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ تعالى، ومن ظنَّ أنَّ الله مع ذلك عزيزٌ حكيمٌ، لا يسوي المتقي بالفاجر، والمؤمن بالكافر، فهو شديد العقاب، وهو الغفور الرحيم، فمن عرف الله بذلك حَسَنَ ظَنُّهُ به سبحانه، وأما إحسان العمل في الطاعة، فإنَّ من عرف الله تلك المعرفة أقبلت نفسه على الطاعة، واجتهدت في العبادة، طمعًا في فضل الله العظيم، وهربًا من عقابه الأليم، عباد الله: إحسان الظن بالله: هو أن يعتقد المسلم أن الله تعالى رحيم، حكيم، يختار له الخير، ويغفر الذنوب، ويجازي بالإحسان، حتى لو تأخر الفرج أو اشتد البلاء، قال النبي: لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحْسِنُ الظنَّ بِاللَّهِ (رواه مسلم) مثاله: من يُبتلى ويظن أن ما قدره الله فيه خير، أو من يعصي ثم يتوب وهو يثق أن الله سيغفر له، أما إحسان الظن بالمسلمين: هو حمل أقوالهم وأفعالهم على الخير ما دام ذلك ممكنًا، وعدم التسرع في الحكم عليهم بسوء النية أو الفساد دون دليل، لعل له عذرًا، أو لم يقصد ذلك، والخلاصة: إحسان الظن دليلٌ صفاءٍ: مثاله: إن أخطأ مسلم في كلام أو تصرف، لا تظن به السوء مباشرة، بل قل القلب، وهو عبادة عظيمة تقوي الثقة بالله، وتُصلح العلاقات بين الناس.

خطبة الجمعة ليوم 28 نوفمبر 2025 م